

جماليات الزمان في الروايات العربية النيجيرية: رواية "لماذا يكرهوننا نموذجاً"

The Aesthetics of Time in Nigerian Arab Novels: "Why They Hate Us" As a Case Study

د. عبدالواحد سليمان مرتضى ألكوكا

قسم الدراسات العربية والإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة ولاية كوغى، أنيغبا، ولاية كوغى - نيجيريا

بشير أمين

قسم الدراسات العربية والإسلامية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،

جامعة ولاية كوغى، أنيغبا، ولاية كوغى - نيجيريا

Abstract

This research aimed to reveal the construction of the fictional time in the novel "Why they hate us" by the Salisu Mai Angwo. The researcher adopted they descriptive method for the study. The results of the study revealed the narrator used the chronological paradox to arrange the narrative events through recall and anticipation, which narrating the period of events, he adopted summary and omission to accelerate the narration forward to avoid mentioning issues that did not contribute positively to the narrative context, and when slowing down the narration of events he used descriptive pause for commentaries on Space and characters, he also employed dialogue scene to

give the character a space to express her thoughts and vision through her direct language, and to reveal herself through dialogue, which leads to equality between story time and narrative time.

Keywords: Nigeria, Novel, Why they hate us, aesthetics, space narration.

الملخص

يشكل الزمن واحداً من أهم المقولات الأساسية في تجربة الإنسان، وأحد المكونات الحكائية التي تشكل في بنية النص الروائي حيث يمثل العنصر الفعّال الذي يكمل بقية المكونات الحكائية، ويمنحها طابع المصادقية، ويسهم في تشكيل النص فنياً وجمالياً. حظيت دراسة الزمن الروائي في العصر الحديث على أيدي الشكلايين الروسين الذين عملوا على تحليل الخطاب الروائي على ضوء المنهج البنيوي. يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بناء الزمن الروائي في رواية "لماذا يكرهوننا" للكاتب الثالث معي أنغو، والوقوف على سمات هذا المكون في الرواية. استخدم الباحث المنهج الوصفي للكشف عن جماليات البنية الزمنية في الرواية، وفي آخر المطاف توصلت الدراسة إلى عدة من النتائج يلخصها الباحث أهمها فيما يلي: أن الراوي استخدم المفارقة الزمنية لترتيب الأحداث الروائية عن طريق الاسترجاع والاستباق اللذين هدفا إلى عدم التطابق بين نظام السرد، ونظام القصة، وأن الراوي حين يسرد المدة الزمنية اعتمد على الخلاصة والقفز لتسريع السرد ودون الخوض في تفاصيل الأقوال والوقائع التي لا تسهم في السياق الروائي، وأن مقتضيات تقديم المادة الحكائية عبر مسار الحكوي تفرض على الراوي أحياناً، أن يتمهّل في تقديم بعض الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية قصيرة ضمن حيز نصي واسع من مساحة الحكوي، وهذا ما دفعه إلى استخدام الوقفة الوصفية ليفسخ المجال للوصف أو التعليق للشخصيات والأماكن والأشياء المهمة،

كما استخدم المشهد الحوارى لتمنح الشخصية مجالاً للتعبير عن أفكارها ورؤيتها من خلال لغتها المباشرة، والكشف عن ذاتها من خلال الحوار مما يؤدي إلى التساوي بين زمن القصة والزمن السرد.

الكلمات الدالة:

الرواية، الزمن، السرد، نيجيريا، رواية لماذا يكرهوننا

المقدمة:

يمثل الزمن عنصراً من العناصر الأساسية التي يقوم عليها فن القصص. فإذا كان الأدب يُعتبر فناً زمنياً— إذا صنفنا الفنون الأدبية إلى زمانية ومكانية— فإن الرواية هي أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن لأنه يؤثر في بقية العناصر الأخرى وينعكس عليها فهو حقيقة مجردة سائلة لا تظهر إلا من خلال مفعولها على العناصر الأخرى في القصة، وهي تتشكل، وهو الإيقاع. وقد اهتم الأدباء والنقاد الغرب والعرب بدراسة الزمن الأدبي وخاصة الرواية منذ فترات طويلة. والأدب العربي النيجيري يشهد تطوراً كبيراً في الأدب الروائي حيث ظهرت الروايات بأنواعها الواقعية، والتاريخية، والاجتماعية، والسياسية، والدينية، وتتميز هذه الروايات بالعنصر الزمني من حيث نظام الترتيب وحركة السرد.

يأتي هذا البحث محاولاً تحليل الرواية من خلال الكشف عن جماليات السردية التي تجسدت فيها الزمن. وقد عالج الباحث هذه الدراسة من خلال ثلاثة المباحث: فالمبحث الأول عبارة عن مفهوم نظرية حول الزمن لغة واصطلاحاً، ثم أهمية الزمن وتطوره في الأدب الروائي. أما المبحث الثاني فيدور حول المفارقة الزمنية في الرواية، حيث كشف الباحث الغطاء أن الروائي استخدم تقنية الاسترجاع لإفادة المتلقي عن الشخصيات والأحداث التاريخية المغيبة في السرد، وملء الفراغات التي يتركها الراوي وراءه، كما يميل الراوي إلى الاستباق لإعلان الأحداث والشخصيات المنتظرة في السرد، والمبحث الثالث يتحدث عن المدة الزمنية حيث يضطر الراوي إلى تسريع السرد وإبطاء في آن؛ استخدم الاستراحة

والإسقاط لاستغناء عن الأحداث الجامدة التي تتعلق بالسياق الحكائي، وعمل المشهد الحوارى والوقفه الوصفية على تعطيل السرد وإبطاء ليعطي الشخصيات فرصة التحدث عن مشاعرهم بدون الوسائط من خلال نص واسع.

المبحث الأول: الإطار النظري

مفهوم الزمن لغة واصطلاحاً

يرى ابن منظور أن الزمن في مدلوله المعجمي: اسم لقليل الوقت وكثيره... والجمع أزمان وأزمان، وزمنٌ زامن شديد، وأزمن من الشيء طال عليه الزمان والاسم من ذلك الزمنُ والزمنة... وأزمان بالمكان: أقام به زماناً¹. أما في الاصطلاح فقد عرفه برنس (Prince) بأنه: "مجموعة من العلاقات الزمنية- السرعة والترتيب، والمسافة الزمنية- بين المواقف والأحداث المحكية وعملية حكايتها؛ بين القصة والخطاب، بين المحكي وعملية الحكاية"². ويمثل الزمن عنصراً من العاصر الأساسية في بيئة الرواية، لأنه يؤطر حركة الأحداث والشخصيات والتغيرات التي تطرأ عليها. فإن كان الأدب فن زمنياً فإن القص هو أكثر الأنواع الأدبية التصاقاً بالزمن.³

تطور دراسة الزمن في الرواية

يمثل الزمن عنصراً فعالاً في بناء السرد الروائي، وكان الشكليون الروسيين أول من شرع إلى دراسة الزمن في الأعمال الأدبية، وقد بذلوا قصارى جهدهم في وضع أسس دراسة الزمن وتحليله في القرن العشرين. غير أن هذه البدايات وئدة عند الروس لما لقيت مدرسة الشكليين من رفض وانتقاد سياسي، حيث واجهوا هجوماً عنيفاً باعتبار النظرية الشكلية خروجاً على الفكر الماركسي وأنها تنادى بالفن للفن⁴. ولم تثمر أو تطور في الغرب في بداية القرن العشرين، نظراً لأن الأعمال الشكليين الروسيين لم تترجم إلى الفرنسية والإنجليزية إلا في بداية الستينات، وقد ظهرت بعض الأعمال القليلة في أوائل الخمسينات تحاول دراسة الزمن من ناحية الشكل وتجسيده في النص الروائي. وبظهور النقد البنائي في

الستينات، ونتيجة تأثير ترجمة أعمال الشكليين ازداد الاهتمام بعنصر الزمن في فن القص بعامة ورواية بخاصة على أنه من العناصر التشوية في الرواية فظهرت من خلال محاولات جديدة قيمة لتحليل الزمن الروائي من حيث الشكل.⁵ ومن أشهر الذين درسوا قضايا الزمن الروائي في الغرب: "جيرار جينت، وتزفيتان تودوروف، ورولان بارت، وجيرالد برنس، وفي الأدب العربي، اهتم النقاد العرب بدراسة الزمن الأدبي في أواخر القرن العشرين نتيجة احتكاك العرب مع الآداب الغربية، وقيام بعضهم بترجمة هذه الأعمال إلى اللغة العربية. ومن الذين درسوا الروايات العربية وراعوا العنصر الزمني فيها عبد الملك مرتاض، وعبد الله إبراهيم، وسعيد يقطين، وحמיד لحمداني، وحسن بحراني. فقد اهتموا هؤلاء بالزمن الروائي حسب المنهج البنيوي.

أهمية الزمن في السرد الروائي

يعد الزمن محور الكون والحياة، ومحور حياتنا الداخلية، محرك مشاعرنا وتقلباتنا الجسدية والنفسية، "وهو جبل يتجاذب به الحزن والفرح" للقلب البشري، "فالحن يبطئ الزمن والفرح يسرعه. وإن الماضي والحاضر والمستقبل مجتمعة تشكّل الزمن الخارجي للإنسان، فالزمن ذو فعالية يترك دوماً أثره بغض النظر عن سلبية وإيجابية هذا الأثر، ونحن في حياتنا اليومية تكون دائما إزاء نقطتين أساسيين، الأولى، هي الآن، والأخرى هي شعورنا بجريان الزمن وتدفعه من الماضي إلى المستقبل⁶. وتقوم جمالية السرد للخطاب الروائي على عدة عناصر ومن بين أهم عناصرها الزمن، فهو الخط الذي تسير عليه الشخصية في بناء الأحداث، وهو عنصر مهم وأحد المكونات السردية التي تتشكّل جمالية النص الروائي، بل يمثل العنصر الفعال الذي يكمل بقية المكونات الحكائية. وقد عبر جيرار جينت (Gearard Genette) عن قيمة الزمن في الرواية: "من الممكن أن نقصّ الحكاية من دون تعيين مكان الحدث ولو كان بعيداً عن المكان الذي نرويها فيه، بينما قد يستحيل علينا ألا نحدد الزمن بالنسبة إلى زمن السرد لأن

علينا روايتها إما بزمن الحاضر أو الماضي، وإما المستقبل وربما سبب ذلك كان تعيين زمن أهم من تعيين المكان".⁷

يتضح من قول جيرار جينت أن عنصر الزمن في الرواية عنصر مهم جداً في عملية السرد وتأتي أهمية الزمن مكتملة للقيم الجوهرية في متن النص الروائي، حيث يدرس الزمن في العمل الروائي بالاعتماد على المحاور الداخلية، من خلال إظهار الزمن الروائي، وزمن الكاتب، وزمن الكتابة والقراءة حتى يلج إلى تقنيات الزمن الأخرى. ولأجل ذلك ينبغي دراسة الزمن الروائي لإبراز ظواهره الفنية والجمالية.

المبحث الثاني: المفارقة الزمنية في الرواية

إن ترتيب الوقائع في الحكاية يختلف أحياناً عن ترتيبها زمنياً في الخطاب السردى، وحين لا يتطابق نظام السرد مع نظام الحكاية، فإن الراوي يولد مفارقات زمنية، ويرى جيرالد جينت (Gerald Jenet) أن المفارقة الزمنية تعني: "دراسة ترتيب الزمني لحكاية ما، من خلال مقارنة نظام ترتيب الأحداث أو المقاطع الزمنية في الخطاب السردى، بنظام تتابع هذه الأحداث أو المقاطع الزمنية نفسها"⁸. وعبر جيرالد برنس (Gerald Prince) أن تقنية المفارقة الزمنية هي التنافر الحاصل بين النظام المقترض للأحداث، ونظام ورودها في الخطاب، هي اللحظة التي يتم فيها اعتراض السرد التتابعى الزمني (الكرونولوجي) لسلسلة من الأحداث لإتاحة الفرصة لتقديم الأحداث السابقة عليها⁹. وبنية المفارقة الزمنية في الرواية تأخذ شكلين أساسيين وهما: الاسترجاع والاستباق.

الاسترجاع (Analepsis): هو تقنية زمنية تعني به: أن يتوقف الراوي عن متابعة الأحداث الواقعة في حاضر السرد، ليعود إلى الوراء، مسترجعاً ذكريات الأحداث والشخصيات الواقعة قبل، أو بعد بداية الرواية¹⁰. والاسترجاع في سرد الرواية، ذات وظائف بنوية متعددة، تخدم الحكى وتسهم في نمو أحداثه وتطوره؛ مثل ملء الفجوات التي يخلفها السرد ورائه سواءً بإعطاء القارئ معلومات حول

سوابق شخصية جديدة، دخلت عالم الرواية أو بإعطائه على حاضر شخصية اختلفت عن مسرح الأحداث ثم عادت للظهور من جديد¹¹. فقد نشأت هذه التقنية الزمنية مع الملامح القديمة، ولكنه تطور بتطور الفنون السردية، فانتقل إلى الرواية الحديثة، بحيث أصبح يمثل أهم المصادر الأساسية للكتابة الرواية، وتطورت التقنية في الرواية الحديثة، نتيجة لتطور النظريات النفسية التي تختص بدراسة الشخصية الإنسانية، ومستويات تشكلها ودرجة وعيها الذهني عبر تطور مراحل الزمن وتغيراته.¹²

جمالية الاسترجاع في الرواية:

يمكن لكاتب الرواية أن يعود إلى الماضي لسد الفراغات التي يتركها السرد وراءه، وهناك طريقتين اقترحها النقاد لملء الفراغات عن الشخصيات والأحداث المغيبة عن السرد، وهما الاسترجاع الخارجي، والاسترجاع الداخلي.

الاسترجاع الخارجي: هو ذلك الذي يستعيد أحداثاً تعود إلى ما قبل بداية الحكاية مثلما تعريف بشخصية جديدة يمكن أن يتم بذكر حدث من ماضيها سابق زمنياً لبداية الرواية، العودة إلى هذا الحدث هي استرجاع خارجي لأن زمن الحدث خارج زمن الرواية¹³. والاسترجاعات الخارجية لمجرد أنها خارجية، لا توشك في أي لحظة، أن تتداخل مع المحكي الأول لأن وظيفتها الوحيدة هي إكمال المحكي الأول عن طريق تنوير المتلقي بخصوص هذه السابقة أو تلك¹⁴. وقد عبر كثير من النقاد العرب بأن الاسترجاع الخارجي هو الأكثر شيوعاً في الرواية العربية الحديثة لأن لجوء الروائي إلى تصنيف الزمن السردية، وحصره ودفعه إلى تجاوز هذا الحصر الزمني بالانفتاح على اتجاهات زمنية حكائية ماضية تلعب دوراً أساسياً في استكمال صورة الشخصية، وفهم مسارها.

ومن خلال تأمل الباحث في هذه الرواية اكتشف بأن الروائي يوظف استرجاعات خارجية بعيد المدى بحيث يمتد سنوات طويلة. ولمعرفة كيفية توظيف هذا النوع من الاسترجاعات في مدونة ثالث الروائية يمكن الاستئناس بعدد من

السياقات الحكائية كما في قول الراوي: "وكلما زار كنو كان يذكر صديقه مرتضى الأمين العام لرابطة خريجي المدرسة. ألا ينسى أن يرسل إليه البطاقة،. وكان زميله في دراساته الابتدائية والثانوية ومرحلة الدبلوم، ولم يفترقا إلا في دراسة اللسانس، حيث وجد حمزة قبولاً بجامعة عثمان بن فوديو بينما حصل مرتضى على القبول بجامعة إبادن"¹⁵. فالسرد الارتدادي أحاط القارئ بكل ما يتعلق بماضي الشخصية، ومن ذلك ذكريات حمزة نبذة يسيرة عن رحلته الدراسية مع صديقه مرتضى، فقد ذكر العلاقة بينهما في مراحل الدراسية.

ومن السياقات السردية التي استرجع فيها الراوي إلى الماضي قوله حين يسرد الحفلة العيد الفضي والتي أقيمت في قاعة كلية أمين كنو للشرعية والقانون، وقد قدم الدكتور نجيب رضوان محاضراته بعنوان "لماذا يكرهوننا" ويسترجع إلى الأحداث الماضية الخارجية قائلًا: "والحمد لله على أن اللغة العربية في أيامنا هذه تكاد تعود إليها سابق مجدها في بلادنا خلال القرن التاسع عشر الميلادي، حيث كان المثقفون بالثقافة العربية هم أصحاب الحل والعقد والمناصب الرفيعة في إدارة المملكة والبلاد. وهم أهل الشورى للأمر في المسائل العلمية والقضائية والإدارية والمصالح الاجتماعية. ثم جاء الاستعمار في القرن العشرين، وسلك طرقاً مختلفة غلبت الثقافة الغربية على الثقافة العربية، وحصل المثقفون بالثقافة الغربية على المناصب في إدارة الحكومة..."¹⁶ كان الراوي يسرد محاضرات الدكتور نجيب رضوان الذي يحدث الجمهور عن الأسباب التي تؤدي إلى كراهية اللغة العربية وأصحابها في نيجيريا، هنا قطع الحكوي، ويعود إلى الماضي البعيد ليسترجع موقف اللغة العربية وأصحابها في المجتمع النيجيري، وقد ذكر الراوي أن اللغة العربية في القرن التاسع عشر تطورت تطوراً كبيراً، وكان لأصحابها نصيب الأفضل قبل مجيء الاستعمار البريطاني الذين عملوا على تدمير هذه اللغة. وهذا الاسترجاع الخارجي لأن الأحداث وقعت منذ فترات طويلة، بعيداً جداً قبل كتابة هذا الإبداع الأدبي.

وفي سياق آخر، استرجع الراوي إلى حقبة طويلة من الزمن حيث يحكي أحد القضايا التي يعالجها الدكتور نجيب رضوان في مقاله، محاولاً الربط بين كراهية اللغة العربية من قبل المستعمرين وبين كراهيتها لدى المثقفين بالثقافة الغربية فعاد الراوي إلى الأحداث الغابرة في أيام الاستعمار حيث اقتصرنا مهمات المثقفين بالثقافة العربية على الأمور الدينية فقط، يقول: "وأما المثقفون بما فشأنهم في تلك الفترة شأن اللغة العربية لا قيمة لها ولا مكانة في الحكومة. وما كان لهم بالأمر أصبح اليوم لغيرهم لا دخل لهم في سياسة البلاد. فمكانتهم محصورة في أمور الدين فقط. وهكذا ظل الموقف حتى إذا تحركت واشتعلت نار السياسة قبل استقلال البلاد، بدأ المواطنون المهتمون بالثقافة العربية يحلون ويفكرون القيود التي رابطت الإسلام واللغة العربية من قبل الاستعمار. وذلك بإنشاء المدارس الإسلامية العربية النظامية الحكومية التي تدرّب فيها المدرسون الأكفاء للقيام بنشر الثقافة العربية في المدارس الحكومية والمحاكم الشرعية..."¹⁷ في هذا المقطع، يعود الراوي إلى الأحداث الخارجية منذ زمن طويل، فحين يتحدث عن الأسباب التي تؤدي إلى كراهية اللغة العربية وثقافتها لدى الحكومة النيجيرية في العصر الراهن، دفعته الحاجة إلى الوراء البعيد ليفيد المتلقي عن دور المستعمرين نحو تدمير اللغة العربية وأهلها في تلك الأيام. وعمل المثقفون بالثقافة العربية على تطوير اللغة العربية، وأسسوا المدارس العربية الحديثة.

وهكذا وظف الروائي كثيراً من الاسترجاع الخارجي في الرواية لإفادة القارئ عن الأحداث الخارجية التي لها علاقة قوية مع أحداث الرواية الحالية، أي بنيت بعض أحداثها على الأحداث الماضية المتجهة نحو الوراء مما اقتضى تواتر الأحداث تواتراً غير تصاعدياً، وقد أسهم ذلك في جمالية زمن الرواية وفنيتها. والاسترجاع الداخلي: هو الذي يستعيد أحداثاً وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي¹⁸. وأفاد الآخر أن هذا الاسترجاع يعود إلى ماضي لاحق لبداية الرواية قد تأخر تقديمه في النص،

ويختص باستعادة أحداث ماضية، لكنها لاحقة لزمن بدء الحاضر السردى وتقع في محيطه ونتيجة لتزامن الأحداث يلجأ الراوي إلى المتناوبة، حيث يترك شخصية ويصاحب أخرى ليغطي حركتها وأحداثها¹⁹. ويمكن الاستنتاج من هذين التعريفين أن هذا النوع الاستذكار السردى يتممن داخل زمن المحكي الأول، إلا أن الإشارة إليه تأخر متأخرة عن بداية الحكى، وهذا أمر منطقي ناتج عن كون السارد لا يستطيع حكي الأحداث الروائية كلّها في وقت واحد، فهو ينتقل من شخصية إلى أخرى، وهذا الانتقال يفرض عليه تأجيل حكي لعرض الأحداث المتعلقة بالشخصية التي خصها الاسترجاع.

وهناك مقاطع سردية كثيرة في الرواية يوظف فيها الروائي هذه التقنية، كما في قوله: "وأنا كما قلتُ لكنّ في حديثي في الأسابيع الماضية، ذكرت لكن أنه يجب على كل طالبة في أثناء مذاكراتها إذا حفي عليها شيء من الدروس أن ترجع إلى مدرس المادة لتلمس معرفة ذلك منه"²⁰ كان الراوي يحكي عن اجتماع أعضاء التدريس في مكتبة العميدة، حيث تشتكي العميدة عن المشكلات التي تعاني منها المدرسة وخاصة قلة مدرسي اللغة العربية. فقطع مسار السرد مسترجعاً إلى الماضي القريب ليفيد القارئ عن الأحداث الغابرة التي حدثت في المدرسة بحيث لاحظت أن المدرسين الذين نقلتهم وزارة التعليم إلى هذه المدرسة لا يريدون الإقامة فيها للأسباب الاجتماعية التي لم يذكرها الراوي في السياق الروائي.

وفي مكان آخر، استرجع الراوي بقوله: "عاد حمزة إلى البيت حزينا، جلس في قاعة الاستقبال ويفكر في عبارة العميدة: "إن أردتم ذلك يكون في المسجد"²¹. فالراوي في هذا المقطع استذكر الأحداث قريب المدى التي جرت بين العميدة وحمزة في المدرسة، حيث كانت العميدة تظهر كراهيتها للغة العربية وأصحابها في المدرسة، ولا يرضى حمزة عن ذلك، ويدافع عن قيمة اللغة العربية، ثم عاد إلى البيت غضبان عن كلمة العميدة. الراوي هنا قطع مسار السرد، وعاد إلى الوراء.

يتضح من خلال الاسترجاعات السابقة بأن أهمية هذه التقنية الزمنية سواء الخارجي أو الداخلي تكمن في توسيع مدى العمل الروائي والزيادة من مساحته. ويمكن الاستنتاج من كل هذا أن الاسترجاع آلية يوضحها الراوي لتغطية الغفلات التي تجاهلها، وتجاوزها زمن القصة، فيستعين بها لسد الثغرات التي يخلفها السرد أثناء استئناف الكلام، كما تعتبر هذه التقنية بالنسبة للمتلقي فرصة لاستيعاب أكثر الأحداث الروائية ولاكتمال ملامح بعض الشخصيات الروائية التي كانت مبهمة في ذهنه.

الاستباق

يعد الاستباق (Prolepsis) مفارقة زمنية سردية تتجه إلى الأمام بعكس الاسترجاع، وإذا كانت الاسترجاعات تزود المتلقي بمعلومات ماضية حول الشخصية أو الحدث فإن الاستباقات هي الأخرى تقدم للقارئ معلومات لكنها تتصف باليقينية²². ومن التعريف هو: "تصوير مستقبلي لحدث سردي سيأتي مفصلاً فيما بعد إذ يقوم الراوي باستباق الحدث الرئيس في السرد بأحداث أولية تمهد للآتي وتومئ للقارئ بالتنبؤ واستشراف ما يمكن حدوثه، أو يشير الراوي بإشارة زمنية أولية تعلن صراحة عن حدث ما سوف يقع"²³. والاستباق في الرواية يتخذ أحياناً شكل حلم كاشف للغيب أو هيئة تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعاً ما بشأن المستقبل، وقد يأتي على شكل توقع أو إعلان، أو تمهيد قد يتحقق أو لا يتحقق، ويرى جينت (Genette) أن هذه المفارقة أقل حضوراً في التقاليد السردية الغربية من الاسترجاع، وأرجع ذلك لعدم تماشيها مع عنصر التشويق الذي عنصر أساسي في الروايات الكلاسيكية²⁴.

الاستباق في الرواية

تشكل الاستباق الزمنية ملمحاً جمالياً بارزاً في رواية "لماذا يكرهونا" حيث استخدمه الروائي لتقديم معلومات يقينية أو غير يقينية من حيث التحقق أو عدمه، ويعطي إشارات واضحة صريحة عمّا سيقدمه السرد لاحقاً. ومن

المقاطع السردية الزمنية الدالة على الاستباق قول الراوي: "وكل طالبة في هذه المدرسة لا بد أن تتكلم بها، ولكن لا بأس، سوف نعيد للغة العربية قيمتها في هذه المدرسة، وسوف أبذل قصارى جهدي في حث زملائي لتغيير الأوضاع السلبية بأي طريقة ممكنة. ولكن ستعلم العميدة عن قريب أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذه المدرسة، وهي لغة التخاطب بين الطالبات وفي الاجتماع مع الطالبات"²⁵. المقطع السردى السابق، يعد تلخيصاً استباقياً يعلن عن الأحداث التي سيشهدها السرد لاحقاً في الرواية، حيث ينبئ الروائي القارئ عن الأحداث التي ستحصل في الرواية. فقد أعلن الراوي بشكل مباشر عن بعض المحاولات القيمة التي سيقوم بها حمزة لإعادة قيمة اللغة العربية إلى هذه المدرسة، فيزيد التواصل مع القارئ ويتلَهَّف المتلقي لمعرفة الخطوات التي سوف يسير عليها حمزة للوصول إلى غايته. والاستباق هنا أسهم في دفع الأحداث نحو الأمام ونموها ويتعرف القارئ عما يحدث في المستقبل لأن الراوي قد حدد بعض الأحداث المتوقعة منها إصلاح الأوضاع السلبية، وتشجيع المعلمين والطالبات على اهتمام اللغة العربية حتى تكون اللغة المتكلمة في المدرسة، وذكر أيضاً بأن العميدة سوف تعرف قيمة اللغة العربية في هذه المدرسة. ومما يمكن ملاحظته في المقطع هو استعمال الراوي الصيغ الدالة على المستقبل (مثل سوف، وحرف السين) لكونه يسرد أحداثاً لم تقع بعد على أن هذه الصيغ تتغير وفقاً لطريقة الراوي.

وفي موضع آخر، يميل الروائي إلى الاستباق حيث يتحدث الراوي عن الطرق الراجعة والمناسبة لتشجيع الطالبات على التحدث باللغة العربية في المدرس يقول: "أعتقد لو أنكم أنشأتم جمعية للغة العربية وثقافتها، ستكون خير وسيلة لوصولكم إلى الغاية، على أن يكون للمسرحية دور كبير في ذلك الميدان. لأن الطالبات يجب أن المسرحية، وخاصة إذا كانت باللغة العربية، وأن تختاروا أحسن الممثلات"²⁶. في هذا النص السردى يتحدث الروائي عن أسلوب من الأساليب المتوقعة لتشجيع الطالبات على التحدث باللغة العربية، وقد جاء هذا الاستباق

من خلال الاقتراحات التي قدمت زينب لزوجها حمزة الذي رجع من المدرسة وقص لها الوقائع التي جرت بين وبين العميدة في المدرسة حول اللغة العربية. وقد لعب هذا الاستباق دوراً كبيراً في تطوير جمالية السرد والتنبؤ بالأحداث المستقبلية، ومعرفة الخطوات والطرق التي تساعد على تعليم اللغة العربية قبل وقوع الحدث.

تبقى مفارقة الاستباق قليلة في الرواية يتجنبها الكاتب لضرورة فنية وجمالية، بكونه يروي الأحداث الواقعية التي تعتمد على التسلسل الزمني للأحداث، ولا يميل كثيراً إلى توظيف الاستباق مثل يميله إلى الاسترجاع، وقليل من الاستباق المهيمنة في الرواية وردت إعلاناً عن حدث لاحق في السرد، وسرعان ما تتحقق في زمن السرد الموالي. إضافة إلى ذلك، يمكن الاستنتاج من خلال النموذجين السابقين بأن تقنية الاستباق في هذه الرواية عمل على رسم المستقبل وتمهيد الأحداث اللاحقة فتداخل التقنية الفنية مع الدلالة الموضوعية، ذلك أن التخطيط وتصوير ما قد سيحدث يمثل الرؤية الموضوعية في سرد الرواية، بينما تمهيد الأحداث وتهيئة القارئ لما سيحدث تقنية فنية وجمالية.

المبحث الثالث: جمالية المدة الزمنية في الرواية

المدة الزمنية من أهم الظواهر الفنية والجمالية التي تخص بها النص الروائي، وتمثل المدة في مصطلح آخر منها "حركة السرد" أو "الديمومة" ويقال أيضاً الإيقاع السرد. وهو ضبط العلاقة الزمنية التي تربط بين زمن الحكاية، والتي تقاس بالثواني والدقائق والساعات والأيام والشهور والسنوات، وبين طول النص القصصي الذي يقاس بالأسطر والصفحات وال فقرات والجمل. ولدراسة المدة الزمنية في الرواية اقترح جيرار جينيت طريقتين متناقضتين وهما: "التسريع والتعطيل".

التسريع

يحدث تسريع إيقاع السرد حين يلجأ السارد إلى تلخيص وقائع وأحداث، فلا يذكر عنها إلا القليل، أو حيث يقوم بحذف مراحل زمنية من السرد فلا يذكر ما حدث فيها مطلقاً. ويعد تسريع السرد واحداً من أهم الأسس

التي يقوم عليها أي نص سردي عموماً اعتماداً على عدم إمكانية رصد الأحداث كلها، فإن حكي واحد كاملاً من حياة شخص عادي، يحتاج إلى عدد مئات من الصفحات، لذا فإن الأساس الانتقائي القائم عليه السرد يتخذ مكانة المهم الذي تركز عليه استراتيجيات السرد، فهو أساس إجباري تم تطويعه لخدمة الزمن النهائي من النص²⁷. ويمكن للتسريع السرد في الرواية أن يأتي بطريقة الخلاصة والحذف.

جمالية الخلاصة في الرواية:

يقصد بالخلاصة (Summary) الزمنية في الفن السرد: "سرد أحداث ووقائع جرت في مدة طويلة (أيام، أو شهور أو سنوات، العقود) في جملة واحدة أو كلمات قليلة، إنه حكي موجز وسريع وعابر للأحداث دون التعرض لتفاصيلها، يقوم بوظيفة تلخيصها"²⁸. ومن أهم القيم الفنية في سرد الخلاصة في الرواية أنها تساعد على تسريع حركة السرد في كل مرة يكون فيها الراوي في مواجهة أحداث عارضة وعقد ثانوية غير جديرة أن يستفيض في سردها. وظلت الخلاصة حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وسيلة الانتقال الأكثر شيوعاً بين مشهد وآخر، الخلفية التي عليها يتميزان وبالتالي النسيج الذي يشكل اللحمة المثلي لحكاية الرواية²⁹.

وتعد الخلاصة السردية تقنية يلجأ إليها الراوي في حالتين الأول: حين يتناول أحداث حكاية ممددة في فترة زمنية طويلة فيقوم بتلخيصها في زمن السرد، وتسمى الخلاصة الاسترجاعية، ويتحقق ذلك في قول الراوي: "وكان قسم اللغة العربية والدراسات الإسلامية قد مضى عليه مدة طويلة وأعضاؤه ما جاوزوا مدرسين اثنين، وقد وجدنا في الشهر الماضي مدرساً في هذا القسم، لكنه لم يمض عليه أسبوع فنقل إلى مكان آخر..."³⁰ عمل هذا المقطع على دفع السرد إلى الأمام وعدم الخوض في التفاصيل للأحداث، فقد لخص الراوي بعض الأحداث في أسطر قليلة بحيث لا يذكر عدد السنوات التي قد أنشأ اللغة العربية

والدراسات الإسلامية في المدرسة، ولا يذكر أسماء المدرسين الباقين في المدرسة. فحين ذكر أن مدرساً "لم يمض عليه أسبوع" لم يذكر الراوي القارئ عن الأحداث التي حدثت خلال الأسبوع، كما أنه لم يتحدث عن الأسباب الاجتماعية والتربوية التي تؤدي قلة مدرسي اللغة العربية في هذه المدرسة.

وفي موضع آخر استخدم الروائي الخلاصة الاسترجاعية حين يلخص الراوي العلاقة بين حمزة وصديقه مرتضى الأمين قائلاً: "ألا ينسى أن يرسل إليه البطاقة، وكان زميله في دراساته الابتدائية والثانوية ومرحلة الدبلوم، ولم يفترقا إلا في دراسة اللسانس...³¹ في المقطع اختصر الراوي أحداث سنوات طويلة من حياة حمزة الدراسية في كلمات محدودة لكون أن أحداث حياته الدراسية لا تسهم شيئاً في السياق السردى، فأبعدها الراوي لتسريع الأحداث ودفعها إلى الأمام للغة الفنية والجمالية.

أما الحالة الثانية فهي التي يلجأ الراوي من خلالها للخلاصة، وهي حين يتم التلخيص لأحداث سردية لا تحتاج إلى توقف زمني سردي طويل، ويمكن تسميتها بـ"الخلاصة الآنية" في زمن السرد الحاضر³². وقد تأمل الباحث في الرواية ووجد أن حضور مثل هذه الخلاصة فيها قليلة. ومما ورد الروائي من هذا النوع من التلخيص المقطع السردى التالي حيث يلخص الراوي أحداث كثيرة في كلمات قليلة، يقول الراوي: "وقد جرت العادة في كل يومي الاثنين والخميس أن يكون هناك اجتماع والطالبات في هذه الحال...³³ في السياق الروائي السابق، عمد الراوي اختصار الأحداث حيث يتحدث سريع عن اجتماع الطالبات في يومي الاثنين والخميس، مستغنياً ذكر الأحداث الجامدة من يوم الاثنين إلى الخميس، لأن الأحداث المبعدة عن السياق لا تسهم في السرد، وقد هدف هذا الاختصار إلى دفع الأحداث الروائية إلى الأمام.

وفي موضع آخر من الرواية، يميل الروائي إلى تلخيص الأحداث الواقعة منذ أمد طويل، وذلك حين يسرد الراوي عن بعض المشكلات التي تعاني منها

مدرسي الدراسات العربية والإسلامية من كثرة المواد الأسبوعية مع عدد المدرسين يقول: "لذلك كان المدرسون إلى هاتين المادتين - اللغة العربية والدراسات الإسلامية - هم الذين يعطون ك أكثر المواد الدراسية في الجدول، ولا تقل حصص كل مدرس منهم في جدول عن ثلاثين حصّة في الأسبوع، ومنهم من يدرس أربعين حصّة أسبوعياً. هذا بجانب الحصص المسائية الإضافية والمسئوليات الإدارية الأخرى...³⁴" في هذا المقطع السردى يأتي الراوي بمرور السريع على فترات زمنية سردية، فلم نخوض الكلام عن تلك بقية الأحداث الأسبوعية، لأنه يرى تلك الأحداث غير المتعلقة بالسياق السردى، لهذا تجاوزها ليقوم لغاية تسريع السرد، فلخص ما يراها مهماً من الأحداث، وترك الأحداث الخارجية التي تفيد السياق، ذلك ما ذكر المسئوليات التي قام بها المدرسون.

جمالية الحذف في الرواية:

يلعب الحذف (Omission) إلى جانب الخلاصة دوراً حاسماً في اقتصاد السرد وتسريع وتيرته، فهو من حيث التعريف: "حذف فترة طويلة أو قصيرة من زمن القصة وعدم التطرق لما جرى فيها من وقائع وأحداث فلا يذكر عنها السارد شيئاً، بل يسكت السردى عن جزء من القصة أو يشير إليه فقط بعبارة زمنية تدل على موضع الحذف³⁵ ويعتبر الحذف من التقنيات الزمنية المسرعة كثيراً للزمن، حيث يعمل على إسقاط وإغفال فترات من زمن الأحداث، ويلجأ إليه الراوي حين لا يكون الحدث ضرورياً لمسار الرواية، لأنه من الصعب عليه سرد كل زمن بالأيام والحوادث بشكل متسلسل دقيق، خاصة إذا كانت الحكاية تحتل فترة زمنية طويلة المدى؛ وبالتالي لا بد من القفز واختيار ما يستحق أن يروي.

أنواع الحذف في الرواية:

ينقسم الحذف السردى في الرواية إلى قسمين وهما: الحذف المحدد، الحذف غير المحدد.

والحذف المحدد: هو إعلان الفترة الزمنية المحذوفة صراحة، سواء جاء

ذلك في بداية الحذف كما هو شائع في الاستعمالات العادية، أو تأجلت الإشارة إلى تلك المدة إلى حين استئناف السرد لمساره³⁶. وهذا النوع من الحذف أكثر رواجاً في الرواية التي بين يدي القارئ حيث يميل الروائي إلى استخدام هذه التقنية، ويحذف زمن لم يقع فيه حدث يؤثر في سير وتطور الأحداث في النص الروائي، ويكون جزء من القصة مسكوتاً عنه في السرد كلية، أو مشاراً عليه بعبارات زمنية تدل على موضع فراغ في الحكاية، كما في قوله: "ولما بلغ حمزة السادسة من عمره أدخله أبوه المدرسة النظامية الابتدائية...."³⁷. في هذا السرد، يحكي الراوي عن حياة حمزة وسيرته الدراسية، فيأتي بمرور سريع على فترات زمنية سردية مدتها ست سنوات، ولا يذكر عنها شيئاً من الأحداث. وهذا الحذف له دلالته بالنسبة لأحداث الرواية، إذ يدرك الروائي أن الوقائع في المرحلة الزمنية المحذوفة لا تضيف شيئاً جديداً بعمق دلالة الحدث الروائي، فيتجاوز هذه الأحداث الثانوية ليتقدم سرد الأحداث إلى الأمام.

نموذج آخر يستحق التمثيل حيث يحكي الراوي عن حياة حمزة وزوجته في القرية، فيضطرّ إلى حذف الأحداث والوقائع التي ليست لها علاقة وطيدة مع السياق السردى قائلاً: "الحمد على كل حال، فهو مكان هادئ. الحياة هنا أحسن من المدينة، لأنني منذ أتينا لم ينقطع التيار الكهربائي خلا أسبوعين، ولم ينقطع الماء..."³⁸ في هذا المقطع السابق، أسقط الراوي أسبوعين من الأحداث التي يسردها، ولم يعط للقارئ عنها أية تفاصيل، لأن الحدث الذي يليها هو الأهم في أحداث الرواية.

وفي مكان آخر، تستطيع القول أن الراوي يلجأ إلى الحذف لتسريع زمن السرد متجاوزاً عن الأحداث التي لا تسهم في السياق الحكائي، ويتمثل ذلك في قوله: "مدرسة دروس الإسلام العالية بشاهوث، مدرسة عربية ذات تاريخ عريق، التي تخرج منها طلبة كثيرون والتي أنشئت منذ خمسة وعشرين عاماً وعندما بلغت هذه المدة نظمت رابطة خريجي هذه المدرسة الحفلة المناسبة بلوغها العيد

الفوضى³⁹. في هذا المقطع، يعمد الروائي إلى الحذف المحدد بحيث يعلن الفترات الزمنية المحذوفة، ولم يذكر الراوي شيئاً من الوقائع الثانوية التي وقعت خلال هذه السنوات الطويلة، فيصبح القارئ جاهلاً لا يعرف شيئاً من تلك الأحداث المبعدة من زمن الحكاية. إضافة إلى ذلك، يسهم هذا الحذف إلى تسريع السرد ودفعه إلى الأمام ليشهد المتلقي بقية الأحداث اللاحقة.

الحذف غير المحدد في الرواية: هو الحذف الذي لا يذكر الراوي فيه المدة الزمنية المبعدة في النص، بالرغم من حدوثه، ولا ينوب عنه إشارة زمنية أو مضمونية، وإنما يكون القارئ أن يهتدي إلى معرفة موضعه باقتفاء أثر الثغرات والانتقطاعات الحاصلة في التسلسل الزمني الذي ينتظم القصة⁴⁰. فقد استخدم الراوي هذا الحذف وإن كان غير محقق في الرواية إلا قليلاً، وخاصة قارن هذا النوع بالنوع السابق.

ومن المقاطع الحكائية التي يحذف الراوي الأحداث دون التصريح في الفترات المحذوفة قوله: "أيام أن كنت في الثانوية كانت المكسورة طالبة في صفنا"⁴¹. فالأيام المحذوفة في هذا السياق غير معينة ولم يحدث خلالها حدث مهم لذلك أغفلت لهدف التسريع في السرد والتجنب عن ذكر الأشياء الخارجية التي لا تدعم السرد.

وحين يواصل الروائي بسرد عن حياة مكسورة، حذف فترات زمنية غير محددة قائلاً: "وأما المكسورة فإنها تعيش في كفالة عمها الذي لم يرزق بولد. أخذها من أبيها منذ أن بلغت الفطام، وذهب بها إلى بلد آخر، حيث يعمل ولا تأتي إلى بيت أبيها إلا للزيارة، وتعودت على ذلك حتى بعد وفاة عمها، فعادت إلى رعاية أبيها حتى بلغت سن الزواج"⁴². في هذا المقطع يحذف الراوي الفترات الزمنية غير المحددة، ولا يعلن بدقة الفترات المحذوفة التي أزاحها من زمن السرد وإنما اكتفى بقوله: "منذ أن بلغت الفطام" وقوله "حتى سن الزواج" وبالتالي

يكون صعباً على القارئ تعلن المدة الزمنية المحذوفة بشكل دقيق. وهنا أسهم الحذف دولاً جمالياً في التسريع السرد إلى الأمام.

تعطيل السرد في الرواية

يعتبر تعطيل السرد الحركة المعارضة للتسريع في عملية السرد الروائي، وذلك أن مقتضيات تقديم المادة الحكائية عبر مسار الحكيم تفرض على الراوي في بعض الأحيان، أن يتمهل في تقديم بعض الأحداث الروائية التي يستغرق وقوعها فترة زمنية قصيرة ضمن حيز نصي واسع من مساحة الحكيم، معتمداً على تقنيتين، تمكنانه من جعل الزمن يتمدد على مساحة الحكيم، وهما: الوقفة الوصفية والمشهد الحوارية.

جمالية الوقفة الوصفية في الرواية

يعنى بالوقفة الوصفية (Pause) في عملية السرد الروائي: "شعور الذات الساردة أو إحدى الشخصيات أو مجموعة من الشخصيات الروائية بتوقف الزمن، نتيجة وقوع حدث مفاجئ له تأثير المباشر على الشخصية، فتشعر الذات أو الشخصية أن الزمن قد توقف تتابعه عند هذا الحدث".⁴³ وبأدق العبارة تشير مصطلح الوقفة الوصفية في الرواية الموضوع الذي يتعطل فيها السرد وتعلق الحكاية ليفسخ المجال للوصف أو التعليق أو التأمل أو غير ذلك من الاستطرادات التي تدرج ضمن ما يسمى بـ"بتدخلات المؤلف" لأنها تجسد أقصى درجات الإبطاء في السرد.⁴⁴ وتشارك الوقفة الوصفية مع المشهد في الاشتغال على حساب الزمن الذي تستغرقه الأحداث أي في تعطيل زمنية السرد وتعليق مجرى القصة لفترة تطول أو تقصر، ولكنهما يفتقان بعد ذلك، في استغلال وظائفهما وفي أهدافها الخاصة.

الوقفة الوصفية في الرواية

بعد استقراء صفحات الرواية (موضوع البحث) وجد الباحث محطات كثيرة توقف فيها الزمن عن حركته، وفسخ المجال لتلك المشاهد الوصفية،

التعليقية، والتضمينية، ومن المشاهد التي توقف فيها مسار السردى قول الراوي: "دخل المدرس الأول مكتب العميدة، وفي يده دفتر وقلم. وكان هذا المدرس ربعة القامة، بلغ من العمر أربعين سنة أو فوق ذلك بقليل. وعندما دخل وجد العميدة تكتب في ملف، وكان مكتبها مكتباً واسعاً ذا منضدة كبيرة أنيقة، وزين المكتب بالأثاث الفاخر والصور الكبيرة المعلقة على جدرانها من صورة رئيس الجمهورية وصورة حاكم الولاية وصورة الأمير وصورة عمداء المدرسة الأسبقين. وخريطة العالم في جانب، وجدول المدرسة العام في جانب آخر وفي ناحية أخرى باب لدورة المياه الخاصة بالعميدة." ⁴⁵. يهدف هذه الوقفة إلى وصف الشخصية والمكان معاً. فالراوي كان يسرد الأحداث نحو الأمام، ولكن ظروف الأحداث الروائية يجعله يتمهل في الحكاية لوصف المدرس الأول ورسم مكتب العميدة رسماً دقيقاً، ومن هنا، يضطر إلى إيقاف واندفاعها، واللجوء إلى وصف هذه المكتبة ليقدم صورته الفوتوغرافية للقارئ الذي لا يعرف شيئاً عن هذه المكتبة. وفقد حدد الراوي جميع المكونات في المكتبة.

ومن نماذج الوقفة الوصفية في الرواية، المقطع السردى التالي الذي يصف فيه الراوي حمزة وأبعاده الجسمية قائلاً: "حمزة فتى في ريعان شبابه، ولم يجاوز الخامسة والعشرين. وكان يتقن اللغة الإنجليزية. ومن لم يعرف أنه متخصص في العربية قد يعده متخصصاً في اللغة الإنجليزية، لأن أباه كان معلماً ومثقفاً بالثقافة العربية العميقة، وهو مشهور في عاصمة ولاية كنو. لقد درس اللغة العربية في مدرسة علوم العربية كنو سنوات كثيرة أن عاد من السودان بعد نيله شهادة الليسانس... ⁴⁶ ينبنى الوصف على الرؤية البصرية للموصف، وفقد كشفت هذه الوقفة الوصفية المظاهر الخارجية لهذه الشخصية بحيث يحدد الروائي جنسه، وعمره ومسقط رأسه، كما تحدث يسيراً عن ثقافته العلمي، والشهادات العلمية التي تحملها هذه الشخصية. فهذه الصفات التي تتميز بها الشخصية يجعل القارئ يتخيل فيه كأنه يشهده واقعياً. وإذا كان هذا الوصف يساعد المتلقي على معرفة

الملاحح الخارجية للشخصية الموصوفة، فمن جانب آخر، عمل الوصف على تعطيل السرد وإحداث شيئاً من التوقف.

وحين يحكي الراوي عن دخول حمزة إلى قاعة الدراسة، قطع الروائي مسار الحكاية لوصف بعض الصفات الخارجية للشخصيات، يقول: "ثم أخذ حمزة يطوف بين صفوف الطالبات صفّاً صفّاً. ولكل صف خمس طالبات فمجموع الطالبات ثلاثون، وكلهن متقاربات في الطول والعمر، ولا توجد ولو واحدة منهن تجاوزت الخامسة عشرة. وهن يرتدين قمصانا طويلة إلى الركبة، وسراويل لونهما أرزق، وتتحجب كل واحدة منهن بخمار أبيض تجعله من رأسها إلى ركبتيها، ويستعملان نعلًا أبيض أيضًا"⁴⁷. هذا السياق يتضمن الصفات الخارجية للشخصيات، حيث يصور الراوي ملاحح الطالبات في المدرسة، فقد حدد الراوي كثير صفاتهم الجسمية حيث ذكر كميتهم العددية، وتقارب بعضهن بعضاً في العمر، كما كشف الوصف عن لون ثيابهن ونعلهن. ولقد لعب الوصف في المقطع دوراً فعالاً في تعطيل السرد وإبطائه وإيقافه عن التقدم.

ومن الوقفات الوصفية التي أسهم في إبطاء السرد في الرواية توقف الراوي في وصف المدير في القاعة التي ألقى فيها الدكتور محاضراته في مدينة كنو، يقول: "تبسم المدير ووقف، وهو رجل ذو هيبة، طويل القامة، أبيض اللون، يلبس ثوباً أبيض، وطربوشاً أحمر ونعلًا أبيض...."⁴⁸ هنا يقدم الراوي الصورة الفوتوغرافية للشخصية الموصوف، فيظهر من خلال الوصف الملاحح الخارجية من حيث جنس الشخصية، وطولها، ولونها، ولون ثيابها ونعلها. فحين يحكي الراوي عن محاضرات التي أقيمت في كنو، فكان سرد الأحداث الروائية تسير نحو الأمام فجأة توقف اندفاعها للجوء الراوي إلى الوقفة الوصفية، فتؤدي هذه الوقفة إلى إيقاف تنامي الأحداث ليحدّ من تراكمها على متن النص الروائي.

جمالية المشهد الحوارية في الرواية

هذه التقنية هي الشكل الثاني من أسلوب التعطيل السردية، ويقصد بها: "السياق الحوارية الذي يرد عبر مسار الحكيم، وهو يتحقق تساوي الزمنين (زمن القصة وزمن السرد) تحقيقاً عرفياً من حيث الاستغراق الزمني"⁴⁹. فقد تناول بعض النقاد العرب تحليل الخطاب السردية وفق التقنية النقدية والأعمال السردية وأشاروا إلى أسلوب السرد المشهدي في كثير من الأعمال الروائية، والأعمال السردية بصورة عامة⁵⁰. تتميز هذه التقنية السردية بوظيفتها الدرامية، إذ يعمل على كسر رتابة السرد، من خلال تقنية الحوار، التي تبث الحركة والحيوية فيه، وتمنح للشخصية مجالاً للتعبير عن أفكارها ورؤيتها من خلال لغتها المباشرة، والكشف عن ذاتها من خلال الحوار والعلاقات التي تقيمها مع الآخر (غيرها من الشخصيات)، والعمل على كشف حدث ونموه وتطورها، ويعطي للقارئ إحساساً بالمشاركة في الفعل من خلال الأثر الذي ينتجه، كأنك تشاهد مسرحاً⁵¹.

وكاتب الرواية يستخدم نوعان من المشهد الحوارية لخلق التطابق بين زمن السرد وزمن القصة من حيث مدة العرض. المشهد في الرواية هما: مشهد الحوار الخارجي ومشهد الحوار الداخلي. والنوع الأول والمشهد الحوارية هو يأخذ السمات التعريف السابق، وقد أخذ قسطاً كبيراً في الرواية التي بين يدي القارئ حيث استخدمه الراوي لخلق التساوي بين زمن القصة وزمن السرد، ومنح الشخصيات الفرصة لتقديم عواطفهم وآلامهم دون الوسيط. وهناك المشاهد الحوارية التي تعبر فيها الشخصيات عن مشاعرهم الخارجية فيعطي القارئ إحساساً بالمشاركة الجادة بالفعل، فيرى الشخصيات تتحرك وتمشي وتفكر، ومثال ذلك قوله:

- لماذا كانت كلمة العميدة في الاجتماع مع الطالبات باللغة الإنجليزية فقط، وأنها لا تترجم إلى العربية؟ الأمر الذي دعاني إلى هذا التساؤل أنني منذ أن وصلت إلى

هذه المدرسة، وحضرت ثلاثة اجتماعات لم أجد العميدة تتكلم إلا بالإنجليزية، مع أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذه المدرسة. وأرى أنه ينبغي أن تكون كل الإجراءات الرسمية باللغة العربية.

- الاجتماع يكون باللغة الإنجليزية فقط، لأنها هي اللغة الرسمية، ولكن إذا أردتم أن تترجم فذلك يكون في المسجد بعد الصلاة إن شئتم.

- العربية ليست لغة المسجد فقط، إنها لغة علم وثقافة كالإنجليزية بجانب كونها لغة دين. ولها مكانة في الثقافة الإنسانية.

- نحن لا نترجم إلى العربية. أنا لا أعرف العربية، وكذلك المدرس الأول. ودعني أوجز لك القول إنه ليس من عاداتنا. أنت جديد أنت تتبع نظامنا... فهمت؟⁵²

يدور المشهد الحوارى السابق بين حمزة والعميدة في اجتماع أعضاء التدريس، حيث لاحظ حمزة أن المدرسة أسست لأجل اللغة العربية والثقافة الإسلامية، فينبغي أن تكون لغة التخاطب بين أعضاء التدريس والطالبات، وبنه العميدة إلى ذلك، غير أنها لا تتقن اللغة العربية ولا تحترمها. والعميدة ذلك ترد عليه وتظهر له موقفها عن اللغة العربية. وهذا المشهد يتميز بوظيفته الدرامية بحيث أسهم في تطوير جمالية السرد وقطع مساره لمنح الشخصيات فرصة إبداع آرائهم ومشاعرهم حول قضية بدون أن يتدخل أحد الشخصيات الخارجية. وقد عمل هذا المشهد على تعطيل السرد وإبطاءه، وخلق التساوى بين زمن السرد وزمن القصة من حيث المدة الزمنية، كما يسعى إلى وسعة النص الروائي.

وفي موضع آخر يهدف المشهد الحوارى إلى إبطاء السرد وتعطيله وذلك

حين يسرد الراوى عن التخاصم بين بعض الطالبات في المدرسة:

- المشاجرة! المشاجرة!!

- كيف؟ ومن هن المشاجرات

- رقية إدريس وجميلة تاسع

- في أي شيء تتشاجران، وما السبب

- والله لا أدري، الذي أعرفه أُنِي رأيت رقية أشبعت جميلة لطمأ على وجهها حتى أسقطتها على الأرض، ثم غرقت في البكاء.

- منى التي تبكي

- رقية

- التي تلمم هي التي تبكي

- أجل

أين هما الآن؟

- تركتهما في الفصل، توسط بينهما الطالبات في الفصل.

- ارجعي وأنا قادم الآن⁵³.

وقد اتسم هذا المشهد بتصاعد درجة التوتر الدرامي بفعل توالي الأسئلة وردودها التي لم تكن كل شخصية تتوقعها من الشخصية الأخرى التي تحاورها، ولهذا تجلي التوازي في مستوى التوتر الدرامي الذي يمكن أن يعدّ المؤشر الفعّال إلى سرعة الحكيم، فحين غدت درجة التوتر، ترتفع، بين الشخصيات المتحاور، بدأت سرعة الحكيم، تنخفض، وراح الحوار، يتمدد على مساحة الحكيم.

مشهد الحوار الداخلي أو الصامت في الرواية

هو "الكلام غير المسموع وغير الملحوظ الذي تعبر به الشخصية عن أفكارها الباطنية التي تكون أقرب ما تكون إلى اللاوعي، وهي أفكار لم تخضع للتنظيم المنطقي لأنها سابقة لهذه المرحلة، ويتم التعبير عنها بعبارات تخضع لأقل ما يمكن من قواعد اللغة لكي توحى للقارئ بأن هذه الأفكار هي ورودها في ذهن⁵⁴". إضافة إلى ذلك، يعد الحوار الداخلي تحليلاً للذات من خلال حوار شخصية مع نفسها فتتوقف حركة زمن السرد الحاضر لتنتقل حركة الزمن النفسي في كل النواحي المختلفة، ويعبر عن تجربة البطل النفسية الداخلية تعبيراً شعورياً دون اعتبار لتسلسل الزمن الخارجي⁵⁵. وكاتب الرواية يلجأ إلى تعليق الزمن من خلال الحوار الصامت فتجد الشخصية الفرصة للكشف عن ذاتها ومكوناتها،

وآلامها، وتمنح الفرصة للقارئ للغوص في عمق الشخصية ومعرفتها عن قرب، والانتقال من خارج النص إلى داخله. ومن الحوارات الداخلية في الرواية قول الراوي حيث يحكي عن المشاجرة التي حدثت بين حمزة عميدة المدرسة، حيث يفكر حمزة موقف العميدة ضد اللغة العربية، وحمزة يحدث نفسه عن القضية قائلاً:

"..أما آن الأوان لهؤلاء السادة أو يفيقوا من نومهم ويعرفوا أن اللغة العربية لها مكانة رفيعة في هذه البلاد خاصة وفي العالم عامة؟. أما حان الوقت أن تسير اللغة العربية جنباً إلى جنب مع اللغة الإنجليزية، ويدرك أنها لغة عالمية ودولية ووعاء للحضارة الإنسانية والثقافية، بجانب كونها لغة مقدسة أنزل القرآن بها؟ إن هذه مدرسة عربية، وكل طالبة في هذه المدرسة لا بد أن تتكلم بها، لكن لا بأس، سوف نعيد اللغة العربية قيمتها في هذه المدرسة، وسوف أبذل قصارى جهدي في حث زملائي لتغيير الأوضاع السلبية بأي طريقة ممكنة. ولكن ستعلم العميدة عن قريب أن اللغة العربية هي اللغة الرسمية في هذه المدرسة..."⁵⁶ في المشهد السابق، تعبر الشخصية عن أفكارها الخاصة ويحدث عن مشاعرها الباطنية حول قضايا اللغة العربية في المدرسة التي يدرس فيها، وقد عمل هذا المشهد على تعطيل الزمن السردي لأن الأحداث الروائية كانت تجري نحو الأمام، ففجأة ما قطع الراوي مسار الحكاية لتمنح الشخصية فرصة التعبير أفكارها فتوقف السرد لأجل ذلك. ومما يمكن ملاحظته في الحوار ميل الكاتب إلى استخدام الضمير المتكلم.

وحين يستمر الراوي عن حكاية الأمور المدرسية التي دارت بين العميدة وحمزة خاصة كراهية العميدة للغة العربية اضطرّ أن يحدث حمزة عن مشاعرها الباطنية حيث يقول: "... الآن أدركت مدى كراهية العميدة للغة العربية، أما آن لها ولأمثالها من المثقفين بالثقافة الغربية أن يعلموا أن الثقافة العربية واللغة العربية كانتا أول ما وضع قدمه في هذه البلاد؟ ولكن لا

بأس... الإنسان عدو ما جهل. لو أنها عرفت شيئاً من الثقافة العربية وفهمت اللغة العربية لما فعلت فعلتها هذه...⁵⁷. في هذا المقطع المنولوجي تحاور الشخصية عن همومها وهواجسها وتخيلاتهما الخاصة بشكل مباشر من الشخصية إلى المتلقي من غير حضور المؤلف، حيث يتعجب حمزة عن بغض العميدة للغة العربية وأصحابها. ورغم أن المنولوج السابق يعمل على إبطاء وتعطيل الزمن السردي، إلا أنه يفسح المجال للشخصية للتأمل وحوار الذات للبروز والاتساع في مساحة الخطاب.

الخاتمة

يتضح للقارئ من خلال السطور السابقة أن العنصر الزمني في الرواية عنصر مهم في بناء الرواية، لأنه يؤثر في العناصر الأخرى وينعكس عليها. ومن خلال دراسة جماليات الزمن في الرواية يمكن الاستنتاج أن خطاب الروائي (ثالث) تعامل مع الزمن بطريقة مختلفة مما عرفناه في الخطابات الروائية التقليدية، فالبدء بالاستباق والرجوع لنقطة البدء والتقنيات الزمنية من مفارقات زمنية تكسر الخطية والتسلسل الزمني، من توظيف الكاتب الإرجاعات بمختلف أنواعها خارجية وداخلية، وإن غلبت الخارجية منها في الرواية، ويهدف توظيف الاسترجاع بأنواعه إلى تقديم الشخصيات، وسرد الأحداث التاريخية المغيبة في السرد، وملء الفراغات التي يتركها. أما الاستباق في الرواية رغم حضورها إلا أنها قليلة بمقارنتها الاسترجاعات، وأغلبها وردت كإعلان لما سيأتي في السرد لاحقاً. فحين يسرد الروائي المدة الزمنية في الرواية، يعمد إلى تلخيص بعض الأحداث لغرض تسريع السرد ودفعه إلى الأمام، كما استخدم الحذف لتجنب عن ذكر الأحداث الخارجية التي تسهم شيئاً في السياق السرد. وعمل المشهد الحوارية والوقفات الوصفية على

تعطيل السرد وإبطاء ليعطي الشخصيات فرصة التحدث عن مشاعرهم بدون الوسائط من خلال نص واسع.

الحواشي والهوامش

- 1 ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عامر أحمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2003م، ج 9، ص 241
- 2 ركان الصفدي، الفن القصصي في النثر العربي حتى مطلع القرن الخامس الهجري، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011م، ص 340
- 3 قاسم سيزا، بناء الرواية: دراسة مقارنة في ثلاثية نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة، القاهرة، 2004م، ص 37
- 4 المرجع نفسه، ص 40
- 5 المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- 6 مهدي عبيدي، جماليات المكان في ثلاثية حنامينه، الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق، ط1، 2011م، ص 227
- 7 زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر والتوزيع، بيروت، ط1، 2002م، ص 35
- 8 مها حسن قسراوي، المرجع السابق، ص 183
- 9 جيرالد برنس، ترجم، السيد إمام، قاموس السرديات، ميريت للنشر والمعلومات، القاهرة، ط1، 2003م، ص 15
- 10 يوسف آمنة، تقنيات السرد بين النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 2015م، ص 104
- 11 المرجع نفسه، ص 104
- 12 مها حسن قسراوي، الزمن في الرواية العربية، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الأردن، ط1، 2004م، ص 184
- 13 زيتوني لطيف، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، ط1، 2002م، ص 19
- 14 مرشد أحمد، البينة والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2005م، ص 238
- 15 رواية لماذا يكرهوننا، ص 35
- 16 ثالث مي أنغوا، لماذا يكرهوننا، SAMBASH، كنو ط 2، 2006م، ص 54

- 17 المرجع نفسه، ص 56
- 18 زيتوني لطيف، المرجع السابق، ص 20
- 19 مها حسن قصرأوي، المرجع السابق، ص 194
- 20 رواية لماذا يكرهوننا، ص 10
- 21 رواية لماذا يكرهوننا، ص 21
- 22 زيتوني، لطيف، المرجع السابق، ص 16
- 23 المرجع نفسه، ص 211
- 24 جيرار جينت، المرجع السابق، ص 76
- 25 رواية لماذا يكرهوننا، ص 21-22
- 26 رواية لماذا يكرهوننا، ص 27
- 27 هيم علي الحاج، الزمن النوعي وإشكاليات النوع السردى الانتشار العربي، بيروت، ط1، 2015م، ص 26
- 28 مُجَّد بوعزة، تحليل النص السردى، تقنيات ومفاهيم، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2010م، 93
- 29 جيرار جينت، خطاب الحكاية بحث في المنهج، ترجمة: مُجَّد معتصم وآخرون، الهيئة العام للمطابع الأميرية، ط2، 1992م، ص 110
- 30 رواية لماذا يكرهوننا، ص 18
- 31 رواية لماذا يكرهوننا، ص 36
- 32 عالية محمود صالح، البناء السردى في روايات إلياس خوري، أزمنة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 2005م، ص 39
- 33 رواية لماذا يكرهوننا، ص 5
- 34 رواية لماذا يكرهوننا، ص 15
- 35 مُجَّد بوعزة، المرجع السابق، ص 94
- 36 حسن بحراوي، بنية الشكل الروائى، المركز الثقافى العربى، بيروت، ط1، 1990م، ص 159
- 37 رواية لماذا يكرهوننا، ص 22
- 38 رواية لماذا يكرهوننا، ص 26
- 39 رواية لماذا يكرهوننا، ص 46

- 40 المرجع نفسه، ص 162
- 41 رواية لماذا يكرهوننا، ص 103
- 42 رواية لماذا يكرهوننا، ص 104
- 43 مراد عبد الرحمن مبروك، بناء الزمن في الرواية المعاصرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص 92
- 44 مُجَدِّ القاضي، معجم السرديات، ص 478
- 45 رواية لماذا يكرهوننا، ص 12
- 46 لماذا يكرهوننا، ص 22
- 47 رواية لماذا يكرهوننا، ص 38-39
- 48 رواية لماذا يكرهوننا، ص 90
- 49 مرشد أحمد، البنية والدلالة في روايات إبراهيم نصر الله، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط 1، 2005م، ص 317
- 50 مصطفى التواني، دراسة في روايات نجيب محفوظ الذهبية، المؤسسة الوطنية للكتاب، تونس، 1986م، ص 107
- 51 حسن مها قصرأوي، المرجع السابق، ص 239-240
- 52 رواية لماذا يكرهوننا، ص 19-20
- 53 رواية لماذا يكرهوننا، ص 37-38
- 54 ليول أيرل، القصة السيكلوجية، المكتبة الأهلية، بيروت، ط 1، 1959م، ص 118
- 55 مها حسن القصرأوي، المرجع السابق، ص 244
- 56 رواية لماذا يكرهوننا، ص 21-22
- 57 رواية لماذا يكرهوننا، ص 33-34

* * * * *